**المحاضرة الثالثة: نماذج وصف النص**

في خضم التطور الهائل الذي عرفته اللسانيات في العصـر الحديث، سجلت اللسانيات تغيرا نوعيا من حيث الكـم والمنهج والغاية، وذلك بتمردها على حدودها الضيقة بل والخاطئة فقد انتقل الدرس اللساني -كما سبقت الإشارة فيه من مجال الجملة إلى مجال النص، لكن الجملة لا تزال تمثل الركيزة الأساس في بناء النص لأنه من غير الصائب الاستغناء عن المجهود الكبير الذي بذل في إطارها، وما عاد من الممكن الادعاء بأن هناك قطيعة تامة ما بين نحو الجملة ونحو النص، لكن تجاوز هذا الأخير لحدود الجملة قد فتح آفـاقا لفهم وتفسير النصوص ولقد تم التغلب على الوصف النحوي الذي اقتصر على الجملة المفردة في ضوء ما عرف بــــــ " فرضية التوسيع "،التي تعد نقطة انطلاقها اعتبار النصوص وحدات متجاوزة للجملة. لكن كيف بدأ التفكير نحويا في تجاوز الجملة؟ ثم ما هي مسوغات ذلك؟

عرفت عملية التحول في بدايتها توسيعا مبدئيا لقواعد الجملة، انطلاقا من فكرة أن النصوص والجمل تشترك في نفس الصفات، وعليه فالمنهج الخاص بنحو الجملة تمكن توظيفه في تحليل النص، « ومن ثم كان "نحو النص" يفهم على أنه نوع القـواعد لعدة جمل، ولما كان تجاوز حدّ الجملة أمرا أساسيا لإدراك النصيّة فقد وصفت النصوص بأنها كليّات متجاوزة للجمل» ([[1]](#endnote-1))،وتبلور هذا التصور في ظل أوجه التشابه القائمة بين الجملة والنص، والمتمثلة في أنهلا يمكن تحديد عدد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة.كما تعد كل من الجمل والنصوص ناقلات للموضوعات ومصوغة صياغة زمنية.**و**لهما في حد ذاتهما طابع بنيوي ويتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر ويمكن أن تأتلف الجمل والنصوص على أساس نماذج معينة في أقسام، وتقوم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها»([[2]](#endnote-2)).

لقد كانت بداية الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، بطيئة ومحتشمة، تركز الاهتمام فيها على وصف وحدات خلف حد الجملة"العبارة" أي أنها لم تبلغ درجة وصف النص كمتوالية من الجمل، «ويعد ممهد الطريق لهذا التصور في علم اللغة الروسي بشكوفسكي، وفي الدراسات اللغوية الجرمانية ك. بوست وذلك منذ سنة 1949 م» ([[3]](#endnote-3)).

وانطلاقا من هذه الخلفية ظهرت عدة نماذج لوصف النص نذكر أهمها على الإطلاق فيما يلي:

**3-1-النص في المنظور النحوي:**

**سبق وأن أشرنا إلى أنّ ايزنبرج** يذهب إلى «أن النص تتابع متماسك من الجمل**،** كما نجدها في الاستعمال الاتصالي اللغوي، إلا أنه يركز اهتمامه على مصطلح "تتابع" ويضفي عليه بعدا رياضيا.

ويشير بكلمة «"نص" إلى متوالية منسجمة من الملفوظات التي تستعمل في التواصل اللغوي» ([[4]](#endnote-4)) ولمّا كان التأكيد على تتابع الجمل، وجب اقتراح خصائص للنصوص، تكفل للجمل جودة سبك داخل النص، ومن أهمها، التتابع الأفقي للجمل وتحديد الجهة اليسرى والجهة اليمنى والاستقلال النسبي والتماسك داخل تتابع الجمل ووجود علاقات دلالية بين مكوناتها السطحية ([[5]](#endnote-5)).

وفي سبيل التقنين لأشكال الترابط والتماسك بين الجمل، يستثمر" إيزنبرج" ما سماه " وسائل التنصـيص" ومنها الأشكال المتنوعة للربط، الضمائر، أشباه الظروف وعلامات التقسيم مورفيمات الزمن، ظروف الجملة، أدوات السؤال والإجابة عناصر منفردة، والتنغيم، ونبر الجملة والتوكيد، وبناء الحذف، والتقسيم إلى موضوع ومحمول كوسائل كلية.

ومن أنماط التنصيص عند إيزنبرج «الإسناد إلى متقدم، الارتباط السببي، الارتباط لوجود دافع أو علة، التفسير التشخيصي، التخصيص، ونظام ما وراء اللغة، الارتباط الزمني، الارتباط الافتراضي، التقابل العكسي، التطابق بين الإجابة والسؤال، والمقـارنة، والإضراب عن قول سابق» ([[6]](#endnote-6)).

والنص في نظر روجر فاولر عبارة عن «البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا ومعاينة» ([[7]](#endnote-7))، وهو يقصد بالبنية للسطحية في هذا التعريف، تلك» المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها على نحو يشكل استمـــــــــــرارا وانسجــــــــــــــاما على صعيد تلك المتوالية» ([[8]](#endnote-8)).

أما عند "هارفج" فــــــــــــــــ «النص هو ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص» ([[9]](#endnote-9)). وينطوي هذا التحديد على معطى أساس، وهو أن الامتداد الأفقي للنص يتم من خلال الجسور الترابطية التي تهندسها وسائل لغوية معينة، ولعل أهمها التسلسلات الضمائرية، فالنص تتابع مشكل من خلال "تسلسل ضميري متصل" لوحدات لغوية، وهكذا يؤسس هارفج مفهومه للنص على مبدأ الإحالة فنجده يتحدث عن « استبدال نحوي ( سينتجماتي)، ويضع تصنيفا معقدا من أنماط الاستبدال، ومن الأنماط الأساسّية للاستبدال النحوي لدى "هارفج" استبدال المطابقة مثل تكرير الوحدة المعجمية واستبدال المشابهة مثـل الإعادة من خلال المترادفات واستبدال التلاصق تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية» ([[10]](#endnote-10)).

والنص في رأي فاينرش «تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم النص» ([[11]](#endnote-11))، وجوهر نموذج وصف النص لدى فاينرش يتلخّص في أنّ النص يسخّر أدوات نحوية التعريف، التنكير، مورفيمات الزمن لتوجيه عملية التجاوب والاتصال، وتوجه أداة التعريف المتلقي إلى معلومات سابقة، في حين يوجهه التنكير نحو معلومات لاحقة، «وبهده الطريقة يثار لدى المتلقي من خلال الاستخدام المقصود لصيغ الأدوات، عمليات ترتيب معينة، ضرورية لعملية فهم النص» ([[12]](#endnote-12)).

من هذا الاساس كانت وسائل النموذج النحوي لوصف النص وسائل نحوية جملية بحتة موسعة في إطار أكبر من الجملة أو بعبارة أدق في الإطار الكلي للنص.

3-2-النص **من** ا**لمنظور الوظيفي:**

في مقابل التوصيف النصي على أساس نحوي صرف ارتكزت الأبحاث في مدرسة براغ على مفهوم جوهري **للجملة الوظيفية**، والذي يقتضي وجوب التمييز بين وظيفتين إخباريتين وهما: الموضوع والمحمول، على اعتبار أن «المتقدم(الموضوع) هو الشيء المتحدث عنه، الذي يفترض المتكلم معرفـة المخاطب له، والمتأخـر ( = المحمول) هو الجزء المتمم للجملة، الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدم »([[13]](#endnote-13)).فالجملة الوظيفية تخضع لبناء أو ترتيب نحوي( الموضوع / المحمول)، وانطلاقا من هذا الترتيب تتحدد وظيفتها الإبلاغية، فكل ترتيب يحمل وظيفة خاصة به، لذلك يهتم الوظيفيون بالإجابة عن السؤال: لماذا وردت الجملة على هيئة معينة؟

لقد استثمر "دانش" هذه المعطيات على صعيد النص والذي اعتبره تتابعا للموضوعات، وبإمكاننا فهم دلالة النص، بتتبع تضاريسه واقتفاء ما سماه التدرج الموضوعاتي في النص إذ تكمن البنية الحقيقية لموضوعات النص – في نظر دانش– في تسلسل الموضوعات وترابطها، في تدرجها وعلاقاتها فيما بينها، وبين فقرات النص وبين النص ككل علاقته بالمقام أو الموقف التواصلي، ويتخذ توالي الموضوعات عند دانش ثلاثة أنماط أساسية، هي: التوالي الأفقي للموضوعات. وتوالي ذو موضوع مستمر. وتوالي ذو موضوع متفرع.

وحسب فولفجانجايزر يمكن أن يفسر تعاقب الموضوعات **توالي النص**، بأنه ربط موضوعات مختلفة بوحدات جملية متجددة دائما في شكل توال أفقي، وفي هذه الحال يعاد تلقي موضوع الجملة الأولى باستمرار من خلال أشكال تكرار متباينة، ويربط بأبنية المحمول الجديدة، وهو بذلك يشكل نوعا من ثبات موضوع النص**»**فيهذه الحالة تلحق أبنية (الموضوع – المحمول) المفردة، بموضوع علوي / موضوع شامل...غير أن نموذج المنظور الوظيفي للجملــــــــــــة القائم على أساس نحوي صارم قد ارتكز في أنمـــــــــــــــــاط التوالي على أســــــــــــاس دلالي –اتصالي»([[14]](#endnote-14)).

**3-3-النص من المنظور الدلالي:**

ظهر نموذج وصف النص القائم على أبنية الأساس الدلالية، كرد فعل اتجاه الرؤية النحوية المحضــة للنص، والتي لا يمكن الاكتفاء بها في معرفة حقيقة النص، فأدوات الربط التركيبية أو مفاهيم الاتساق لا تمثل إلا وجها ثانويا، لتعقيدات النص؛ إنما المعول عليه في الوصف العلمي البناء هو دلالة النص الكلية، ومن ثم « لا يمكن أن يوصف اتساق نص ما، وصفا كافيا إلا باشتماله على بنية الأساس الدلالية، أما وسائل الربط التركيبية فلا تقوم على العكس من ذلك إلا بوظيفة إشارات إضافية، أي اختيارية دائما، تسهل على السامع معرفة بنية الأساس الدلالية في النصوص وفهمها»([[15]](#endnote-15))وخير من تمثل هذا الاتجاه في الوصف النصي**"**كلاوس برينكر"و"فان ديك" و"بتوفي"، فقد قدم برينكر تعريفا للنص، مركزا على الجانب الدلالي المحوري حيث يقول:«إن مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري – موضوعي – أو جملة أساس، من خلال علاقات منطقية دلالية»([[16]](#endnote-16))، ويؤكد "فان ديك" على المستوى الدلالي للنص، ويتكفل ببناء صرح نموذج بمفاهيم دلالية مثل:البنية العميقة، والبنية السطحية والبنية الكبرى والبنية العليا وقواعد التحويل (الحذف والتعميم والبناء) « إن تصور "فان ديك" للنص خلافا لتصور "ايزنبرغ" و" هارفج" اللذين يؤكدان على التماسك النحوي للنص، قائم على أساس دلالي للنص.»([[17]](#endnote-17)) مفاهيمه قضوية، لكنه لا يركز على المفاهيم المنطقية المتعلقة بالصدق والكذب ،بل يهتم بكيفيات ترابط هذه القضايا داخل النص ربطا قضويا، فهو يحدد أشكالا من العلاقات التي تنظم قضايا النص، داخل القضية الواحدة، وما بين القضايا أيضا.ومن العلاقات القضوية الداخلية في النص الوصل والعطف وقد اعتمد "**فان ديك** " في نموذجه أساسا على مفهوم "القضية"، لأنه يرى بأن النصوص ما هي إلا مركبات تحكمها السببية والشرطية والتعاقبية والاعتراضية والختامية والمقارنة والاستدراكية والإضرابية ،وهناك علاقات قضوية متداخلة كالتعليل والتوضيح والتخصيص والتأكيد والتصويب وعلاقات السؤال والجواب.

فالمتكلم حسب فان ديك يبسط تيمة النص أو بنيته الكبرى عن طريق التوسيع الدلالي تدعيم القضية النواة بقضايا أخرى وينتج عن ذلك النص"، في حين نجد السامع يستقبل النص، محاولا استنتاج بنيته الكبرى انطلاقا من اكتشاف بناه الدلالية الصغرى ثم دمجها.

أماعن يانوس بتوفي فقد حاول نقل مفهوم البنية العميقة للجملة في النحو التوليدي التحويلي إلى مستوى النص ممهدا لعلم دلالة توليدي نصي، ويؤكد تصوره على أنه» يمكن أن يطور من الأساس الدلالي الكم من أبنية المحمول – الحجة الموصوف بوسائل المنطق الشكلي قياسا على الجمل– نموذجا للنصوص أيضا، وأن يشق قواعد لبنائها بشكل منظم» ([[18]](#endnote-18))

والجدير بالذكر أن التناظر أو التشاكل ما يعني السمات المعجمية بوصفها مؤشرات لأوجه ترابط النص يشكل نموذجا دلاليا أيضا في وصف النص، وتعود فكرته الأساسية إلى السيميائي الفرنسي " جريماس"، وقوام هذا النموذج «أن دلالة النصوص تنشأ من اتفاق ملامح/سمات/ دلالية محددة للوحدات المعجمية الواردة في نص ما.»([[19]](#endnote-19))،يوظف "جريماس" مصطلح "تناظر" أو"تشاكل " للتعبير عن هذه العلاقة المعجمية الدلالية التي تحدد التقارب أو التكافؤ الدلالي بين الوحدات المعجمية المكونة للنص، « وبذلك لا يكون للملامح السطحية إلا أهمية ثانوية لتماسك النص، غير أن الأساس الحاسم هو الظاهرة الدلالية الناشئة عن تكرير السمة الدلالية »([[20]](#endnote-20)) فالوحدات المعجمية التي تدخل في عملية التناظر تشكل سلاسل وشبكات تناظر، تسهم بشكل فعال في كشف الدلالات النواة في النص، كما أن العلاقات التناظرية تتعدد ما بين الوحدات المعجمية من خلال التكرار الكلي والاستئناف المتعدد الاشكال كالترادف واللفظ الشامل والتضاد والجملة المفسرة والاستبدال النحوي وتتضافر أوجه مع أشكال التكافؤ التركيبي المعجمي، في سبيل كشف القناع عن مظاهر الترابط الدلالي للنص.

**3-4-النص من المنظور الاتصالي:**

لقد قامت معظم نماذج وصف النص منذ السبعينيات على أساس تحديد الطريقة التي تعمل بها النصوص في كنف الحياة العملية، مشيرة إلى عناصر غير لغوية، إلا أن ما هو تداولي حقيقة لم يحظ بمساحة مناسبة وظل هامشيا، لكن مع ظهور نماذج النص الاتصالية، أصبح البعد البراجماتي هو المركز والمنطلق في الوصف النصي؛ فما **«**يمكن وصفه لغويا ما يزال وسيلة (مثل صور النشاط العملية، والحركات وتعبيرات الوجه أيضا) لتحقيق أهداف معينة لشركاء الاتصال» ([[21]](#endnote-21)).

يعد هارتمان**p. Hartmann** من اللسانيين الأوائل الذين وضعوا فرضيات تمهيدا لقيام ما يعرف بعلم النص ويحد النص بأنه «علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي

والسيميائي» ([[22]](#endnote-22))، ويعلق سعيد حسن بحيرى على هذا التعريف بقوله: «على الرغم مما يتسم به من عمومية، إلا أنه يقدم خاصية له وهي ارتباط النص بموقف اتصال من جهة وإمكان تعدد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى.» ([[23]](#endnote-23))

**كما ألح "**شميت**"**على البعد الاتصالي في تعريفه للنص، حيث يقول: «إنه جزء حُدّد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية)» ([[24]](#endnote-24))، ويتضمن هذا التعريف معطيات أساسية، تتمثل في أن النص يتميز بوحدة الموضوع ووحدة المقصد، لأنه قد تشكّل في سبيل تحقيق هدف محدّد في عملية الاتصال.

**أما "برينكر"**فيرى بأن النص ربط أفقي أو متدرج لأفعال كلامية، وهو فعل كلامي معقد أيضا. ([[25]](#endnote-25))

ونجد أيضا " **جلنتس**" معتمدا على المنظور التداولي في وصف النص، فقد ربط مفهوم النص بالأداء اللغوي في لغة ما أي بتحقيقه، ويلاحظ سعيد حسن بحيري بأن "جلنتس" يحاول «أن يتناول مفهوم النص من خلال توظيف جديد لمصطلحات النحو التوليدي وربطها بمفاهيم تداولية ... ويهمنا هنا ملاحظة التشابك بين عناصر تحويلية وعناصر تداولية داخل عملية انتاج النص وتلقيه» ([[26]](#endnote-26)).

ويتوجب علينا – في اعتقاد **"سوينسكي» Sowinski**أن ننظر إلى إنتاج النص مكتوبا أو منطوقا وإلى التبليغ النصي، وإلى الاستقبال النصي باعتبارها جميعا أحداثا أو عمليات اتصالية» ([[27]](#endnote-27)).

ولا شك بأن تزامن التطورات اللسانية النصية وعلم الاتصال، هي التي دفعت إلى بروز نماذج الوصف الاتصالية للنصوص، حيث أصبحت هذه الأخيرة وحدات اتصالية، فمنتج النص يسعى لقول شيء للقارئ أو السامع، و لا يمكن أن يعيش النص في فراغ، وفي مقدمة ترجمة كتاب "النص والخطاب والإجراء" يشرح **"** حسان تمام " الفرق بين نحو الجملة ونحو النص/لسانيات النص في نسق "دي **بوجراند" و"دريسلر** " وتخلص إلى أنهما يختلفان في موضوع الجملة / النص والمنهج التحليلي / التركيبي وغاية الوصف / الاتصال، فالغاية من نحو النص هي تحقيق الاتصال وليس مجرد الوصف البنيوي لوحدات الجملة.

ويقدم "فان ديك " مبادئ أساسية للتحليل النصي، تعمل وفق هندسة تكاملية حيث تتآلف فيها مكونات العملية التواصلية؛ المنتج والمتلقي – لغة النص وسياقاته المختلفة، ومن بين هذه المبادئ:

1. تستعمل النصوص على الدوام، في سياق خاص وهذا يقتضي عند تحليل النص وفهمه تحليلا وفهما للسياق أيضا.
2. أن التحليل سواء كان نصيا / أو سياقيا هو نتاج لذات محللة، أي أنه يمثل في حد ذاته نصا.
3. وفي إطار وصف نصي أكثر اندماجا ستوضع المستويات المختلفة من التحليل في علاقة بعضها ببعض.[[28]](#endnote-28)

يتخذ الوصف اللساني النصي الفونولوجيا والمورفولوجيا، التركيب بين الجمل والدلالة، البنيات الكبرى، البنيات العليا مع الوصف السياقي التداولي، المعرفي فهم النصوص، الاجتماعي النفسي تأثير النصوص، الاجتماعي النص كظاهرة ثقافية في سبيل الإحاطة بفهم النص.

وفي الأخير، يمكن أن نخلص إلى أن حقيقة النص، تبدو غامضة، إذا ما اقتصرنا في وصفها على زاوية أحادية. لا يسعنا إلا أن نسلم بضرورة تضافر زوايا النظر كلها، في سبيل مقاربة ناجعة لمستويات النص المختلفة. ولعل خير ما يعزز هذا الطرح، ذلك التعريف الذي اقترحه كل من **دي بوجراند و درسلر** والذي يمتاز بالدقة والشمول التأكيد على الزوايا المتنوعة، وتتجلى مظاهر قوته، في الأثر العميق الذي حظي به لدى الكثير من الباحثين.

**هوامش وإحالات**

1. - مدخل إلى علم لغة النص،فولفجانج هاينهمان وديتر فيهقجر، ، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،ط1 ،2009 ، ص: 10. [↑](#endnote-ref-1)
2. - نفسه، ص: 20. [↑](#endnote-ref-2)
3. - مدخل إلى علم لغة النص، ص:19 . [↑](#endnote-ref-3)
4. - فنون النص وعلومه، فرانسوا راستيي، ترجمة ، إدريس الخطاب، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2010، ص:49 . [↑](#endnote-ref-4)
5. - مدخل إلى علم لغة النص، ص:21. [↑](#endnote-ref-5)
6. - انظر، اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط2، 2007 ص: 41-43 [↑](#endnote-ref-6)
7. - تحليل الخطاب الروائي**،** سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989، ص: 43. [↑](#endnote-ref-7)
8. - انفتاح النص الروائي: (النص -السياق)، سعيد يقطين**،** المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1،1989

   ، ص: 12. [↑](#endnote-ref-8)
9. - علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 99. [↑](#endnote-ref-9)
10. - مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلافواورزنياك، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2010م، ص: 55. [↑](#endnote-ref-10)
11. - ينظر، علم لغة النص الاتجاهات والمفاهيم، ص: 99. [↑](#endnote-ref-11)
12. - ينظر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 24. [↑](#endnote-ref-12)
13. - مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004، ص: 71. [↑](#endnote-ref-13)
14. - مدخل إلى علم لغة النص، ص: 27-28. [↑](#endnote-ref-14)
15. - نفسه، ص: 31 [↑](#endnote-ref-15)
16. - علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص : 101 . [↑](#endnote-ref-16)
17. - مدخل إلى علم لغة النص، ص: 57. [↑](#endnote-ref-17)
18. - مدخل إلى علم لغة النص، ص:36. [↑](#endnote-ref-18)
19. - نفسه، ص:33. [↑](#endnote-ref-19)
20. - نفسه، ص:33. [↑](#endnote-ref-20)
21. - مدخل إلى علم لغة النص، ص:48. [↑](#endnote-ref-21)
22. - علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 99. [↑](#endnote-ref-22)
23. - نفسه، ص: 99. [↑](#endnote-ref-23)
24. - نفسه، ص: 99. [↑](#endnote-ref-24)
25. - نفسه، ص:101. [↑](#endnote-ref-25)
26. - علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 104. [↑](#endnote-ref-26)
27. - العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص:89. [↑](#endnote-ref-27)
28. - في نظرية الأدب مقالات ودراسات، فان ديك وآخرون، ترجمة محمد العمري، كتاب الرياض، رقم38، المملكة العربية السعودية، ص:58-59. [↑](#endnote-ref-28)